الطريقة العلمية في تحري الأحاديث النبوية

للأستاذ قدري حافظ طوقان

حين رأى العرب أن من الناس من يستبيح لنفسه وضـــع الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله ، ولما كان الحديث من أغزر المنابع للتشريع الإســـلامي في العبادات والمسائل الدينية والجنائية ، لهذا ودفعاً لكل فوضى في وضع الأحاديث فقد وضع جماعة من العلماء الصادقين طرقاً لتنقية الحديث مما ألم به وتمييز صحيحه من موضوعه . وقد سلكوا في ذلك طرقاً دقيقة علمية يصعب معها التلاعب أو الاختلاق كما وضعوا قواعد للتوصـــل إلى الحقيقة في الحديث « تتفق في جوهرها واتجاهها والأنظمة التي كشفها علماء أوربا فيما بعد في بناء علم الميثودولوجية ... » .

قال علماء الحديث بالأمانة في نقـل الحديث وفرضوا وجوب تحري النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلي . ولقد وضع القاضي عياض رسالة في عـلم المصطلح هي أنفس ما صنف في مجموعها « وقد سما بها القاضي إلى أعلى درجات العلم والتدقيق ... » ويعترف الدكتور أسد رستم بفضلها فيقول « ... وعلى الرغم من مرور سبعة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ في أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها . وأن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفـكير والاستنتاج تحت عنوان تحري الرواية والمجيء باللفظ يضاهي أدق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الإفرنج في ألمانيا وفرنسا وأمريكا وانكلترا ... » .

وطالب علماء الحديث بتعيين رواة الحديث والتدقيق في معرفة قيمة المحدث ووضعوا قواعد لتجريحه وتعديله . فلقد جاء في بعض مصنفاتهم ما يلي : قال الإمام مالك بن أنس ، وكان ذلك قبل اثني عشر قرناً : « ... لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من سفيه ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث الرسول ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به ... » .

وهناك أقوال لغير هؤلاء تبين القواعد التي على أساسها يؤخذ الحديث وتوضح الصفات التي يجب أن يتحلى بهـا الراوي لقبول روايته . وقسم العلماء الحديث بحسب قوته والأخذ به إلى أقسام وأطلقوا على كل قسم إسماً فقسموه إلى متواتر وآحاد . فالتـواتر ما رواه جماعة يؤمن من تواطئهم على الـكذب عن جماعة كذلك إلى رسول الله . والآحاد هي الأحاديث غير المتواترة وقد قسموها أيضاً بحسب قوتها . وهكذا سار العرب والمسلمون في الحديث . ومنهم من كان يتركه إذا عارض القياس . ومنهم من كان يتركه إذا خالف المعقول .

وكان للحديث أثر كبير في أسلوب العرب وتفكيرهم ، فهو من أكبر العوامل في نشر الثقافة في العالم الإسلامي . أقبل عليه الناس يتدارسونه ودارت عليه حركة الأمصار العلمية ولا سيما في صدر الاسلام ، وعن طريقه انتشرت في العالم الإسلامي أنواع من

عزم وجلد ، وعلى بصيرة واستواء . . . يحكي ابن خلدون أن ما كان يقال في عهده عن أهل الشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين في باب الغنى غرائب تسير الركبان بحديثها ، وربما تتاقى بالإنكار في غالب الأمر ! وبنى التاريخ أن أحد تجار البصرة في القرن السادس الهجري ، واسمه حسن بن العباس كانت له مراكب تسافر إلى أقصى الهند والصين . وقد بلغ مقدار ما يؤخذ من ضرائبها مائة ألف دينار ! .

ألا إن لنا في ميدان الاقتصاد كما لنا في ميادين الحضـارة الأخرى ماضياً يستحق أن نأسى عليه ، فهل يكون لنا المستقبل الذي نتشوف إليه ؟ . ـ

لبيب السعيد
رئيس قسم المنسوجات بالمراقبة العامة للاستيراد

الثقافة عدة ... « فالتاريخ الإسلامى بدأ بشكل حديث كالذى ترى فى كتب الحديث من مغاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم . ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتباً قائمة بنفسها . ودليلنا على ذلك أن كتب التاريخ الأولى كسيرة ابن هشام وما يروى ابن جرير عن ابن إسحاق ، والبلاذرى فى فتوح البلدان يكاد يكون نمطها وأسلوبها نمط حديث وأسلوب حديث . وقصص الأنبياء وما إليهم جاءت فى القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع القصاص . فكان القصص ... » .

وفوق ذلك فقد ثبت أن المسلك الذى اتبعه العرب فى تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد فى أساليب العلماء إذ أبان لهم أهمية اتباع الطرق التى تؤدى إلى الحق كما أوضح لهم منهاجاً دقيقاً للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال . وكذلك كان للأساليب التى اتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ « وأصبحت القواعد التى ساروا عليها فى تحرى الحقيقة هى المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين » ومحل تقديرهم وإعجابهم .

ولقد كان لعلماء الحديث فضل على التاريخ وأثر على الأسلوب الذى يسير عليه المؤرخون المعاصرون ، وكذلك كان لعلماء التفسير فضل وأثر لا سيما وأن الأسس التى اتبعوها فى أصول التفسير علمية وصحيحة ، يتجلى ذلك فى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية فى أصول التفسير وفى تفسير الزمخشرى . ولولا الخوف من الإطالة لأتينا على بعض نصوص تؤيد ما ذهبنا إليه .

ووضع العرب مصنفات فى علوم الدين سار بعضهم فيها على منهج علمى . وكان الشافعى أول من وضع مصنفاً فى أصول الفقه على أسس علمية . قال مصطفى عبد الرازق : « إذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية فهو أيضاً أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه ... » واعترف الرازى بفضل الشافعى فقال ... « اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم رأى أصول الفقه — الشافعى . وهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح صفاتها فى القوة والضعف ... » ويقول جولد زيهر : « وأظهر مزايا الشافعى أنه وضع نظام الاستنباط الشرعى فى أصول الفقه ، وحدد مجال كل أصل من هذه الأصول .

وقد ابتدع فى رسالته نظاماً للقياس العقلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى التشريع من غير إخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم . رتب الاستنباط من هذه الأصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد أن كان جزافاً ... »

ويتجلى أسلوب الشافعى العلمى فى رسالته فهو يسلك فى سرد المباحث وترتيب الأبواب نسقاً مقرراً فى ذهن مؤلفها « وقد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمى المنظم ، فى فن يجمع الشافعى لأول مرة عناصره الأولى » ...

وتتجه الرسالة اتجاهاً منطقياً إلى وضع الحدود والتعاريف أولا ثم الأخذ بالتقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم . « وقد يعرض الشافعى لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها وينتهى به التمحيص إلى تخير ما يرتضيه منها ... »

وكذلك تمتاز الرسالة بالأسلوب الذى اتبعه فى « الحوار الجدلى المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف فى الاستدلال والنقض ومراعاة النظام المنطقى حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولا بالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة » .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

الشيخوخة مرض يمكن علاجه

لماذا تقاسى المرض والضعف والشيخوخة وعوارضها : السكبد . البروستات . الضعف التناسلى . أوجاع الركب والمفاصل . الروماتيزم . العصبية المتزايدة . ضعف البصر . عدم انتظام المصارين والبنكرياس الخ

اكتشافات علاجية حديثة

تصلك وأنت فى منزلك

اطلب التعليمات المجانية ، واكتب للاستاذ الفريد توما مدير معهد الشرق بجيدان غمرة رقم ٧١٩ بمصر ، وارفق بطلبك قرشين صاغ طوابع للمصاريف فتصلك التعليمات مجاناً .